

تفسير أبي السعود

3233 - آل عمران .

باتباع نبيه E فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للإشعار باستتباع وصف الألوهية للمغفرة والرحمة روى أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا إنا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في أقوام زعموا على عهد E أنهم يحبون الله تعالى فأمرهم أن يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس Bهما أن النبي وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله يا معشر قريش لقد خالفتم ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقالت قريش إنما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه E قل إن كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه فاتبعوني أي اتبعوا أشريعتي وسنتي يحبكم الله فأنا رسوله إليكم وحثه عليكم .

قل أطيعوا الله والرسول أي في جميع الأوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه E دخولا أوليا وإيثار الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة والإشعار بعلتها فإن الإطاعة للأمور بها إطاعته E من حيث أنه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في أن عنوان الرسالة من موجبات الإطاعة ودواعيها .

فإن تولوا إما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التاءين أي تتولوا وإما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الإطاعة كما في قوله تعالى فإن أسلموا تلويح إلى أنه غير محتمل منهم .

فإن الله لا يحب الكافرين نفى المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أي لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وإيثار الإظهار على الإضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والإشعار بعلته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولى عن الطاعة كفر وبأن محبته D مخصوصة بالمؤمنين .

أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله تعالى أن الدين المرصى عنده هو الإسلام والتوحيد وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو للبغي والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلاله أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة وأتبعه ذكر مبدأ أمر عيسى E وأمة وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقا للحق

وإبطالا لما عليه أهل الكتابين في شأنهما من الإفراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في
أبراهيم E وادعائهم الانتماء إلى ملته ونزة ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية
والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى عبادة D وحده
وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة